هوامش

تكتسب الأطعمة الشتوية شعبية متزايدة في العراق، وتعتبر وسيلة لإحياء التراث، خاصة مع حضور باعة جائلين يقدمونها بأسلوب تقليدي مميز، وهي مهمة لتوفير المناعة ضد أمراض الشتاء

الحمص المسلوق أكلة يعشقها العراقيون (مرتضى السوداني/ الأناضول)

الأكلات الشتوية

نكهات الدفء والحميمية والانتماء في العراق

بغداد ـ **آدم محمود**

مع انخفاض درجات الحرارة في فصل الشتاء يزداد إقبال العراقيين على الأكلات الشتوية التراثية التي توفر الدفء، وتحمي، بحسب المعتقدات الشعبية، من الإصابة بنزلات البرد التي تنتشر في هذا الوقت من السنة.

ومن بين أبرز الأطعمة الشتوية التي يقبل عليها العراقيون «الشلغم» وهو عبارة عن نبات اللفت المسلوق، والباقلاء (الفول المسلوق)، واللبلبي (الحمص المسلوق)، وكلها تُباع على عربات تنتشر في الأحياء والشوارع. ويُقبل العراقيون على شراء هذه الأكلات من الباعة الجائلين الذين يعرضونها في أوعية مغلية، ويقدمونها ساخنة كي تتناسب مع برودة الطقس.

يؤكد الحاج نصيف جاسم الذي تجاوز السبعين من عمره، لـ«العربي الجديد»، ولعه بتناول الأطعمة الشتوية من عربات الباعة الجائلين، كونها تُعيد ذكرياته إلى عقود ماضية عاش فيها تقاليد وأجواء عراقية أصيلة. ويقول إن الباقلاء تحديداً لها مكانة خاصة عنده، ويحرص على تناولها ليلاً من عربات الباعة، إذ يجد في ذلك «متعة لا تضاهى» كونه أحد التقاليد القديمة، وليس مجرد عادة غذائية، بل هو جزء من التراث الذي يسعى إلى الحفاظ عليه ونقله إلى الأجيال القادمة.

بدوره، يستعيد خليل الهنداوي (62 سنة)، في حديثه لـ«العربي الجديد»، ذكريات الطفولة والشباب، حين كان يتسامر مع أصدقائه في ليالي الشتاء الباردة بينما يتناولون الباقلاء المسلوقة. ويتذكر عربة البائع حسوني، الذي كان يلقب شعبياً بـ«حسوني أبو الباجلة»، وهو الاسم الشعبي للباقلاء في العراق.

ويصف تلك اللحظات بأنها «كانت مميزة للغاية، إذ كانت رائحة الباقلاء المسلوقة تنتشر في المكان، ويتجمع الجميع حول عربة حسوني، ويتداولون دفء الحكايات القديمة والضحكات. كانت عربة حسوني رحمه الله جزءاً من حياتنا اليومية، لذا أواصل تناول الباجلة من الباعة المتجولين، كي أستعيد ذكريات تلك الأيام الجميلة».

ويقدم الباعة الأطعمة الشتوية التقليدية بطريقة فريدة، وهم يضيفون أجواءً خاصة تميّز شتاء المدن العراقية. ينقسم باعة «اللبلبي» إلى نوعين، فبعضهم يتجولون داخل الأزقة، ويتنقلون بين الأحياء بعربات بسيطة تحمل أوعية مليئة بالأكلة الساخنة، ما يضفي طابعاً حيوياً يدفع السكان إلى الخروج للشراء. في حين يفضل آخرون اتخاذ مواقع ثابتة على جوانب الطرق، أو في الساحات العامة، ويصبح لهم أماكن يعرفها الناس ويقصدونها لتناول تلك الأطعمة المحببة، ما يمنحهم زبائن دائمين يعودون إليهم باستمرار. ولتناول هذه الأطعمة الشتوية طريقة معروفة، إذ تقدم في أوانٍ صغيرة تحتوي على العديد من المواد المطيبة التي تضاف، بحسب رغبة الأشخاص.

تتذكر هتاف عباس (56 سنة) أجواء فصل الشتاء التي تتسم بانتشار الباعة الذين يتجولون في الأحياء الشعبية. وتقول لـ«العربي الجديد»: «يضفي هؤلاء الباعة أجواءً دافئة ونكهة خاصة للشتاء، إذ يتجولون داخل الأزقة مساءً، ويزينون عرباتهم بالفوانيس والأضواء. ويزيد من أجواء المتعة تقديمهم أكلات الشتاء المحببة، وإعلان قدومهم بعبارات منغّمة غير مفهومة في بعض الأحيان، لكنها تضفي البهجة على المكان، وتبث طاقة إيجابية، وتجذب الأهالي للشراء، ويعرف الجميع هؤلاء الباعة من أصواتهم المميزة، ولا أزال أتذكر بعض هذه النغمات من طفولتي».

تتابع: «أتذكر أحد الباعة قبل أكثر من أربعين عاماً، وهو يُنادي بشكل مضحك وفريد، ويكرر حرفي اللام والباء بلهجة سريعة. كان ينادي لب لب لب التي يستمر في تكرارها نحو دقيقة، فتنتشر البهجة بين الحاضرين، ويتجمع الأطفال فرحين بسماع ندائه المألوف».

وعموماً يشهد باعة هذه الأطعمة إقبالاً واسعاً من أشخاص من مختلف الأعمار، يتجمعون حول العربات في أمسيات الشتاء الباردة، ويتفقون جميعاً على أن تناول هذه الأطعمة الشتوية يتجاوز كونها مجرد وجبات إلى كونه طقس خاص يرتبط بالأجواء التي تحيط بعربات الطعام، ونكهات الأكلات الساخنة الممزوجة برائحة الشتاء التي تضفي الحميمية والانتماء.

يُبدي كرم عادل (18 سنة)، في حديثه لـ«العربي الجديد»، شغفه بتناول أطعمة «الشلغم» و«اللبلبي» و«الباقلاء» من عربات الباعة الجائلين، رغم أن والدته تعد هذه الأطباق بمهارة في المنزل. ويوضح أن تناول هذه الأطعمة في الشارع برفقة الأصدقاء، جلوساً أو وقوفاً على الأرصفة، طقس مميز لا يمكن تفويته، ويخلق أجواءً ممتعة من الحكايات والضحكات. ويؤكد أن وجود الباعة الجائلين الذين يتميّزون بأصواتهم وعباراتهم الفريدة، يجعل التجربة ممتعة، إذ تجمع الأصدقاء، وتربطهم بتراث تركته الأجيال السابقة.

ويجد باعة هذه الأكلات في الشتاء فرصة عمل موسمية مربحة، وهم يُظهرون حرفية عالية في إعداد هذه الأطعمة، إذ يضيفون خلطات ونكهات خاصة تميّز كل طبق وتمنحه طابعاً فريداً.

يبيع أحمد عمران، وهو طالب جامعي، صنفين من الأطعمة الشتوية، هما اللبلبي والباقلاء، مستخدماً عربة كبيرة، وهو يتخذ من مفرق طريق يؤدي إلى شارع الكرادة المزدحم في بغداد موقعاً له، ويقبل عليه سكان الحي والمارة. يقول: «تعلمت المهنة من صديقي، وهي توفر لي دخلاً جيداً يساعدني في توفير احتياجاتي الخاصة التي تخفف الأعباء عن والدي. أستخدم توابل وبهارات متنوعة، وأحرص على تقديم الأطباق ساخنة، وبنكهات تقليدية ممزوجة بلمسات مبتكرة لجذب الزبائن، ما يجعل عربتي محط أنظار الناس الذين يتناولون أطعمة متنوعة النكهات بين حارّة وباردة. كما أهتم كثيراً بنظافة الأطعمة، والعربة، والمكان المحيط، فانا أحب هذا العمل الذي أتعرف من خلاله إلى أشخاص جدد بشكل دائم».

باختصار

يزداد إقبال العراقيين على الأكلات الشتوية التراثية التي توفر الدفء وتحمي من نزلات البرد في هذا الفصل

■■■

من بين أبرز الأطعمة التي يعشقها العراقيون الشلغم (اللفت المسلوق)، والباقلاء (الفول المسلوق)، واللبلبي (الحمص المسلوق)

■■■

تقدم الأطعمة الشتوية بطرق معروفة في أوانٍ صغيرة، وهناك العديد من المواد المطيبة التي تُضاف إليها

وأخيراً

في هجاء الضجر

معن البياري

الشابّتان اللّتان من سنغافورة، أو من غير سنغافورة، مرجّحٌ أنهما من بلدٍ في شرق آسيا، تتحدّثان بما يُشبه الهمْس. لا أحاول الإنصات إلى ما تقولانه إحداهما للأخرى، ليس لأن لغتَهما لا أفهمها، ولا لأن همسَهما لا يُسمعني كثيراً مما تتبادلانه من كلام، ولا لأن لا جملَ ولا ناقةَ لي في شأنِهما، وإنما لأنني أكتفي بأن تجول عيناي في كل الذين في الحافلة، واقفين وقاعدين، وكنتُ، في ذلك المساء المتأخّر، من القاعدين. كانت الحافلة تأخذُنا من بابٍ في المطار إلى حيثُ الطائرة التي سنسافر فيها. يحيّرني هذا النوع من الحافلات، لا تنتظم الكراسي فيها باتّساقٍ ما نعرف في عموم الحافلات، ما هي الحكمة بالضبط لدى صانعيها من صُنعِها على هذا الهيئة... لسنا هنا كل الركّاب، سبقَنا غيرُنا في ثلاث حافلاتٍ، على ما لاحظتُ، وربما يتبعنا آخرون في أُخريات، والبادي أن الطائرة ستكتظّ بنا، فعددُنا كبيرٌ على ما رأيت. راقني، وأنا أصرفُ عينيّ عن تينك الشابّتين اللتين خمّنتُ أنهما من سنغافورة، ثم لم أعُد أكترثُ إن كانتا من هذا البلد حقّاً أم من غيره، راقني أن أرى في سِحن الناس وتقاسيمهم هنا تنويعات البشر في الأرض.

اثنان يرتديان الزيّ الخليجي، وثلاثة لمحتهم يلبسون الأردية الطويلة التي لا تصل إلى القدمين، الفضفاضة كما سراويلهم، لعلهم من الهند وباكستان وبنغلادش وأفغانستان. ثمّة رجالٌ، سمرٌ وسودٌ، كان أحدُهم يبتسم، وعلى محيّاه انشراحٌ غزير، كان يستمع إلى رفيقٍ له معه، وصلتْ إلى مسامعي مفرداتٌ فرنسية. هم من بلادٍ في أفريقيا لم أنشغل بأن أحرزَ أسماءها، ولا فرق، عندي، إن كانوا من غانا أو من ساحل العاج أو من غيرهما. أرتاح، بطبعي، عندما أصادف ناساً من هذه البلاد في مدنٍ أزورها، أو في أسواقٍ أو مقاهٍ أتردّد عليها. نساءٌ، بينهن شابّات كثيرات، يرتدي بعضهن جلّابيات مغاربية، تدلّ على بلادهن. السيدة الأنيقة النحيلة، السبعينية كما قدّرت، إلى جانبي، تنظر من الزجاج إلى سياراتٍ وعمّال وطائرات واقفة. بدت لي أوروبية، وهذا لا يهمّ، فنحن جميعاً سكان الحافلة مسافرون، هذه صفة توحّدنا، ستطيرُ بنا الطائرةُ بعد نصف ساعة ربّما، وتحلّق فينا بين السماء والأرض، فوق بلاد وبلاد، فوق مدن وصحارى وأرياف. سنهبط بعد نحو ثماني ساعات، الوقت الآن ليل، سنصلُ في الثامنة صباحاً. قد لا أستطيع النوم، سأحاول، والأرجح أنني لن أفلح، على غير ما أغبط عليه كثيرين، سرعان ما يبدؤون النوم، وبأيٍّ كيفيّة، بل يشخرون أحياناً، فور أن يستقرّوا في مقاعدهم، وتصير الطائرة بين السحب والغيوم، وعلى مقربةٍ من نجوم غير مرئية بعيدة. لا أدري عن حظّي في مقعدي، من سيكون إلى جانبي، وهذا موضوعٌ ليس تفصيليّاً في رحلةٍ طويلةٍ كالتي نتأهّب لها. لا أتوقّع أنني سأصادفُ نفسي مع شخصٍ أعرفه من قبل، فلم ألحظ أحداً أعرفه من بيننا، لمّا اصطفّفنا قبل أن نتوزّع على الحافلات التي تأخذُنا الآن إلى الطائرة.

... أخاف منه، الضجر الثقيل الذي سأكون عليه في الساعات الثماني في الليل البهيم. لن يكون في وسعي أن أقرأ شيئاً في روايةٍ ترافقني في حقيبتي. أتحسّب منه وأنا لمّا أصعد إلى الطائرة بعد. ما زلتُ في الدقائق العشر (أو أقلّ؟) في الحافلة التي تحرّكت، بعد شيءٍ من انتظارٍ ما، إلى الطائرة. توسّلتُ حديثاً مع نفسي، أحاول به الخروج من هذا الشعور المبكّر إلى ما هو أرفعُ وأعلى. كأن أسألُ نفسي عن أسباب المنازعات في العالم، وعن الفوقيّات والمنافرات في غير بلد وبلد، فيمَ هذا التلاقي هنا، في هذه الحافلة، وسابقاتها وتالياتها، بين شعوبٍ من كل قارّات الأرض، بين أجناس وسِحن وأديان وعقائد متنوّعة، دليلٌ ظاهرٌ على أن في وسع الأمم والبلدان أن تأنَس بعضها ببعض، وتُبعد عن نفسها أسباب البغضاء، وتُغلّب سبل الوئام والتفاهم عليها. ثم وجدتُني على فائضٍ من السذاجة، وأنا أحدّث نفسي بهذا، فليس مرأى شابّتين من سنغافورة (أو من غير سنغافورة كما أوضحتُ أعلاه) مع سيّدة أوروبية سبعينية ورجلين من الخليج العربي وآخرين سمر أفارقة، ونسوةٍ مغاربيات، وغير كل هؤلاء من بلاد بعيدة وقريبة، ليس مرآهُم في حافلةٍ ليست كما الحافلات دلالةً على شيء. إنما الإتيان على جمعهم هنا في أقلّ من عشر دقائق، قبل طيرانهم إلى الدار البيضاء، وقبل ضجرٍ وسأمٍ ثماني ساعات غالبتُهما بجُهدٍ متعب، ما كان إلا لدفع ضجرٍ أفدح وأتعس، يغشى الحشايا، من فرط أسباب كآبةٍ ثقيلةٍ بين ظهرانينا لا تنفكّ تفترس أرواحنا.

> ضجر أفدح وأتعس، يغشى الحشايا، من فرط أسباب كآبة ثقيلة بين ظهرانينا لا تنفكّ تفترس أرواحنا

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**